

٩. تفسير القرآن بالقرآن (*)

معنى التفسير:

التفسير فى اللغة يرجع إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله كما يقول الزركشى فى كتابه: «البرهان» مأخوذ من التفسرة.

والتفسرة كما يقول صاحب «اللسان»: هى البول يستدل به على المرض، وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل، وكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية، وقصصها، ومعناها، والسبب الذى أنزلت فيه، وهو كأنه تسمية بالمصدر، لأن مصدر فعل جاء أيضاً على تفعله نحو: جَرَّبَ تجربة، أو كَرَّمَ تكرمة.

وفى رأى ابن الأنبارى أن أصل التفسير مأخوذ من قول العرب: فَسَّرْتُ الدابة، وفسرتها إذا ركضتها وهى محصورة لينطلق حصرها، وعلى هذا المعنى يصير معناه إلى الكشف أيضاً. ومعنى التفسير على هذا الرأى: كشف المغلق من المراد بلفظه. والفعل منه يأتى مزيدا وغير مزيد، يقال: فسرت الشيء أفسره تفسيراً، وفسرته أفسره فسراً، وقد سُمى ابن جنى كتبه الشارحة: الفسر وهى مصدر فسر.

والرأى الذى أميل إليه، لأنه أوضح فى مجال الدلالات، وعلاقات المعانى أن التفسير أصله، سفر لافسر، وضعت الفاء موضع السين على أساس القلب المكاني، والقلب المكاني باب معترف به فى مجال اللغة، وسفر معناها: الكشف، يقال: سمرت المرأة سفوراً إذا ألقت خمارها عن وجهها وهى سافرة، وأسفر الصبح: إذا أضاء.

وإنما بنوه على التَّفْعِيل فقالوا: التفسير، لأنه للتكثير كقوله تعالى: «يَذَبِّحُونَ أَبْنَاءَ كَمْ»، «وغلقت الأبواب» فكانه يتبع فى تفسيره سورة بعد سورة، وآية بعد أخرى.

والتفسير معناه فى اصطلاح المفسرين: علم نزول الآية وسورها وأقاصيصها، والإشارات

(*) نشر فى مجلة الوعي الإسلامى - يوليو سنة ١٩٧٢.

النازلة فيها، وترتيب مكيتها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها، وعامها، ومطلقها، ومقيدها، ومجملها، ومفسرها.

ومما لا ريب فيه أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، ولغة العرب فى هذه الفترة من التاريخ كانت مضرب المثل فى رصانة الألفاظ، وبلاغة المعانى، وقوة التراكيب .

وقد برزت خصائصها كاملة فى الشعر العربى مما جعل بعض العلماء يقول: «ولو وجد أرسطو فى شعر اليونان ما يوجد فى شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال، والاستدلالات، واختلاف ضروب الإبداع فى فنون الكلام لفظاً ومعنى، وتبحرهم فى أصناف المعانى وحسن تصرفهم فى وضعها، ووضع الألفاظ بإزائها، وحسن مأخذهم وتلاعبهم بالأقاويل المخيلة كيف شاءوا - لزاد على ما وضع من قوانين الشعر».

ومع قوة اقتدارهم فى فنون القول تحداهم القرآن الكريم أن يأتوا بمثله، أو بعشر آيات منه، أو بأقصر سورة من سوره، فعجزوا بعد أن حاولوا، وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾.

ومما لا شك فيه أن هذا يدل على أن كلام الله لا يشبهه كلام فى مجال الفصاحة والبلاغة، والتصرف البديع، والمعانى اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب فى البلاغة، والتشابه فى البراعة.

ولنا أن نتساءل: هل القرآن الكريم الذى بلغ هذه الذروة فى فصاحة الكلمة وبلاغة المعنى يفهمه العرب جميعاً، ولا يحتاجون فى مجاله إلى بيان أو تفسير؟

وللإجابة عن هذا السؤال أقول: إن من المفكرين العرب من يرى هذا رأى كابن خلدون الذى نص فى مقدمته على: «أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه».

وفى رأى أن ابن خلدون تجاوز الحقيقة فى هذا الرأى، وذلك لما يأتى:-

١- لغة العرب لم تكن ممثلة فى لهجة واحدة، حقا قال الرواة: إن القرآن الكريم نزل

بلهجة قريش لأن قريشا - كما يقول أبو نصر الفارابي في كتابه المسمى (بالألفاظ والحروف) - كانت أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق.

أو كما يقول أبو حاتم الرازي في كتابه: «الزينة» بصدد لهجة قريش: «إن رسول الله ﷺ الذي نزل القرآن الكريم على قلبه لينذر قومه أفصح العرب، وهو من قريش، من ولد إسماعيل، وولد إسماعيل أفصح من اليمن الذين هم من ولد يعرب بن قحطان».

ولكن مع هذه النصوص لأميل إلى أن القرآن الكريم نزل بلهجة قريش وحدها بل نزل بها وبغيرها من اللهجات العربية الأخرى لأن هنالك نصوصا تؤكد أن القرآن الكريم نزل بسبعة أحرف ليسر للعرب جميعا الانتفاع به، ومعنى ذلك أن هذه الأحرف تشتمل على كثير من اللهجات العربية، وحوادث اختلاف القراءات بين الصحابة تعددت سجلتها كتب الرواة والتاريخ. وإذا كان الأمر كذلك فإن كثيرا من الأحرف التي نزل بها القرآن لا يعرفها العرب جميعا، وتحتاج إلى بيان وتوضيح، وتفسير لمعانيها، والأمثلة على اختلاف مدلولات الكلمات باختلاف اللهجات كثيرة، وإلى القاريء طائفة منها لتكون دليلا على ما أقول:

ذكر إسماعيل بن عمرو المقرئ في كتابه الشهير (اللغات في القرآن) الأمثلة الآتية من سورة البقرة.

«رغدا» آية ٣٥ = الخصب بلغة طيء.

«فأخذتكم الصاعقة» آية ٥٥ = الموت بلغة عمان.

«رجزا» آية ٥٩ = العذاب بلغة طيء.

«اشتروا» آية ١٦ = باعوا بلغة هذيل.

«فلا رفث» آية ١٩٧ = الجماع بلغة مذحج.

ألا يدل هذا على اختلاف المدلولات بين اللهجات مما يؤكد أن العرب جميعاً لم يكونوا على مستوى واحد في فهم مدلولات القرآن الكريم.

٢- ذكر ابن قتيبة في كتابه (المسائل) أن العرب لا تستوى في المعرفة بجميع ما في القرآن

من الغريب والمتشابه، بل لبعضها الفضل فى ذلك على بعض ، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ ، ثم قال ابن قتية ويدل عليه قول بعضهم: يا رسول الله إنك لتأتينا بالكلام من كلام العرب مانعرفه، ونحن العرب حقا؟ قال: إن ربي علمنى فتعلمت».

٣- وقد ذكر ابن تيمية فى مقدمته «أصول التفسير» : أنه يجب أن يعلم أن النبى ﷺ بين لاصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى: ﴿لَتَبِينَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ﴾ يتناول هذا ، وهذا، وقد قال أبو عبدالرحمن السلمى : «حدثنا الذين كانوا يُقَرِّئوننا القرآن كعثمان ابن عفان، وعبدالله بن مسعود، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم، والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً».

فهذه النصوص التى قدمتها ترد قول ابن خلدون السابق، وتشير إلى أن العرب لم يكونوا على درجة واحدة فى إدراك معانى القرآن، بل لبعضهم الفضل فى ذلك على بعض، وأن الذين لا يدركون هذه المعانى من حقهم أن يدركوها فالنبى عليه الصلاة والسلام بينهم بين ماغمض عليهم، ويوضح ماخفى عنهم.

الخطوة الأولى لتفسير القرآن الكريم:

وكان بيان النبى عليه السلام لما غمض، وتوضيح ماخفى، هو الخطوة الأولى لتفسير القرآن، وإليك الدليل:

١- لما نزل قوله تعالى: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن» قال بعض الصحابة: وأينا لم يظلم نفسه؟ ففسر النبى عليه الصلاة والسلام الظلم بالشرك، واستدل عليه بقوله تعالى: «إن الشرك لظلم عظيم».

٢- سألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ عن الحساب اليسير فى قوله تعالى: «فأما

من أوتى كتابه يمينه. فسوف يحاسب حساباً يسيراً» فيبين لها النبي عليه الصلاة والسلام أنه العرض يوم القيامة.

٣ - حديث عدى بن حاتم قال: لما نزلت: «حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل، فلا يستبين لى، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار».

وهذه الخطوة الأولى من التفسير التى بدأت على يد النبي عليه الصلاة والسلام موضع اتفاق بين العلماء جميعاً، ذلك لأن السنة هى الضوء الكاشف لما أجمله القرآن ولم يفصله، والسنة هى التى حددت لنا عدد الصلوات، وعدد الركعات والسجرات فى الصلاة، وهى التى بينت لنا مقدار النصاب فى الزكاة، ولذلك رد عمران بن حصين على كل رجل كان يرى أن القرآن حوى كل شيء، فقال له: إنك رجل أحمق، أتجد الظهر فى كتاب الله أربعاً لا يجهر فيها بالقراءة؟ ثم عدد عليه الصلاة، والزكاة، ونحو ذلك ثم قال: أتجد هذا فى كتاب الله لنا مفسراً؟ إن كتاب الله تعالى أبهم هذا، وأن السنة تفسر هذا.

هذا وقد ثار الجدل بين العلماء حول تفسير النبي ﷺ للقرآن هل فسر القرآن الكريم كله أو فسر جزءاً منه، أو فسر فقط ما أشكل من آياته؟

فى رأى أن النبى عليه السلام لم يفسر القرآن كله متبعا سورة ليفسر آياتها آية آية كما يفعل ذلك المفسرون، لأنه لو فعل ذلك لأغلق باب التفسير... ووقف الفكر عند هذا الحد، وبذلك يتعطل الاجتهاد ويتجمد الفكر، والإسلام من أخص خصائصه أن يتيح الطريق للأفكار العظشى أن تنهل من معين القرآن ماشاء لها أن تنهل، بشرط أن تكون أدوات التفكير متكاملة، ومن ثم ازدهر التفسير وتعددت مناهجه عبر القرون إلى يومنا هذا.

ولكن الذى يمكن أن يقال: إن النبى عليه الصلاة والسلام تناول فى تفسيره الأمور التى تحتاج إلى بيان فى العقيدة أو العبادة أو المعاملة أو السلوك، وما كان فى إطار غير هذا الإطار تركه النبى ﷺ للعرب يفهمونه بلغتهم، وعلى مقتضى أساليبهم فى فنون القول. ولا أستطيع فى هذا البحث الموجز أن أبين مناهج التفسير المختلفة فى عصر الصحابة أو

التابعين، ومن جاء بعدهم ، ولكن الذى أستطيع أن أثبينه هنا أن من أهم مصادر التفسير ومناهجه تفسير القرآن بالقرآن.

تفسير القرآن بالقرآن؛

وتفسير القرآن بالقرآن يتوقف على الإدراك الواسع، والفهم الدقيق لآياته، والنظر إلى الآيات المتكررة وربطها بعضها ببعض، وجمعها فى إطار واحد لينظر إليها فى صورتها المتكاملة، وأن الإشعاعات الفكرية التى تعطيها هذه الصورة المتكاملة تزيل التناقضات، والاختلافات التى يرمى بها الجهلة كتاب الله، وكتاب الله منها بريء لأنه كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

وفهم القرآن ليس سهلاً، لأنه يحتاج إلى تصفية النفس من أكدارها، والعقل من شبهاته، والقلب من خطراته، ولأدل على ذلك من كلمة على كرم الله وجهه، وقد سئل : هل خصكم يا أهل البيت رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما عندنا غير ما فى هذه الصحيفة، أو فهم يؤتاه الرجل فى كتاب الله.

والزبيدى يبين أن مرتبة فهم كتاب الله مرتبة عظيمة ويستدل لذلك بقوله تعالى: «فهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما» فإنه تعالى خصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم، وجعله مقدما على العلم والحكم، فهذه الأمور تدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا، ومتسعا بالغا، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه.

وتفسير القرآن بالقرآن يتمثل فى صور متنوعة أذكر منها ما يأتى:

١. المعانى المتعددة للكلمة الواحدة.

ذلك لأن الكلمة الواحدة فى القرآن الكريم قد تنصرف إلى عشرين وجها أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك فى كلام البشر - من ذلك كلمة الهدى فهى:

= بمعنى البيان فى قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

= بمعنى الدين فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾.

- = وبمعنى الإيمان فى قوله تعالى : ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ .
- = وبمعنى الداعى فى قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ .
- = وبمعنى الرسل أو الكتب فى قوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ مَتًى هُدًى﴾ .
- = وبمعنى الرشاد فى قوله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .
- = وبمعنى التوراة فى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدًى﴾ .
- = وبمعنى الحجّة فى قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .
- بعد قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ .
- = وبمعنى التوحيد فى قوله تعالى : ﴿إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدًى مَعَكَ تَتَخَفْ﴾ .
- = وبمعنى السنة فى قوله تعالى : ﴿وَأِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ .
- = وبمعنى الإلهام فى قوله تعالى : ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ... إلخ

٢- التكرار:

والتكرار تفسير وتوضيح، فقصة موسى عليه السلام ذكرها الله تعالى - كما قال بعضهم - فى مائة وعشرين موضعاً فى كتابه، ومع ذلك التكرار فإن الصورة لانتهت، لأنه تفتن فى القول، وإبداع فى التصوير، وأساليب مختلفة تساق لقصة واحدة، وفى هذا من البلاغة ما فيه.

على أن التكرار لا يخلو من زيادة مفيدة، ففي قصة موسى مثلاً نجد أن الله تعالى صور العصا فى سورة طه آية (٢٠) بأنها حية تسعي، وذكرها فى الأعراف آية (١٠٧) بأنها ثعبان مبین، وفى موضع آخر - تهتز كأنها جان ولى مدبراً - :

ويعقب السيوطى فى الاتقان على صور العصا المختلفة بقوله : «إن خلقها خلق الثعبان العظيم، واهتزازها وحركتها كاهتزاز الجان وخفته» .

وبين الزركشى بعض الأسباب التى من أجلها كررت القصة فى القرآن فيقول:

١ - إن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل، فلولا تكرار القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى آخرين، وكذلك سائر القصص، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها فيكون فيه إفادة لقوم، وزيادة تأكيد وتبصرة لآخرين، وهم الحاضرون.

٢ - ومن الأسباب تسليية النبي عليه الصلاة والسلام، وتكرار هذه التسليية ليثبت قلبه دائماً في مجال دعوته إلى الحق كما قال تعالى: «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك».

٣ - إن الدواعى لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام فلهذا كررت القصة، دون الأحكام.

وإنى أميل إلى رأى ابن فارس فى قوله: إن تكرار القصة نوع من الإعجاز القرآنى لبلغاء العرب وفصحائهم، فبعد أن عجزوا عن الإتيان بمثل آية، بين لهم وأوضح الأمر فى عجزهم، بأن كرر ذكر القصة فى مواضع إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأى نظم جاءوا، وبأى عبارة عبّروا. ويؤيد هذه الفكرة الإمام الباقلانى فى إعجاز القرآن فيقول:

«ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت، بل هو على نهاية البلاغة، وغاية البراعة، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر».

على أن الناظر إلى قصص القرآن يجد أن الهدف من التكرار هو الهداية والعبرة، وكأن هذا التكرار يذكر الأمم دائماً بالمصير الوبيل الذى حل على هؤلاء الناس الذين وقفوا من دعوات أنبيائهم موقف التحدى والتكران.

٣ - توضيح الفكرة بضروب من الاستدلالات المختلفة:

ومن تفسير القرآن بالقرآن أن الفكرة تتضح أبعادها وتنكشف جوانبها، إذا تعددت الاستدلالات عليها من واقع الحياة، وبذلك يطمئن القلب إليها. وتستريح النفس لها، ويؤمن العقل بها، والمثال على ذلك قصة البعث والإعادة:

وقد سلك القرآن الكريم لتفسير قصة البعث طرقاً مختلفة:

١ - قياس الإعادة على الابتداء بقوله تعالى: ﴿كما بدأكم تعودون﴾.

٢ - قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات بقوله تعالى: ﴿ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾.

٣ - قياس قدرة الإعادة على قدرة إخراج النار من الشجر الأخضر.

وقد ورد في هذا أن أبا بن خلف لما جاء بعظام بالية ففتها وذرها في الهواء، وقال يا محمد: «من يحيي العظام وهي رميم؟» فأنزل الله تعالى: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ ثم زاد الحجاج بقوله: «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا».

٤ - احتمال اللفظ معنيين في موضع، وتعيين واحد منهما في موضع آخر؛

ومن تفسير القرآن بالقرآن أن اللفظة أوال لكلمة تحتمل معنيين في موضع ثم يعين أحد المعنيين في موضع آخر وذلك كقوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة»، فيحتمل أن يكون السمع معطوفاً على «قلوبهم»، ويحتمل الوقف على «قلوبهم»، والابتداء بقوله (وعلى سمعهم) والاحتمال الأول أولى لقوله تعالى في سورة الجاثية ﴿وَحُتِمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾.

وكقوله تعالى: ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ والمراد بهم المؤمنون بدليل قوله تعالى في موضع آخر: «ويستغفرون للذين آمنوا».

٥ - الاستنباط مع ضمنية أخرى تعين عليه؛

وذلك كاستنباط علي وابن عباس رضي الله عنهما أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾ مع قوله تعالى: ﴿وفصاله في عامين﴾، وعلى هذا الاستنباط جرى الإمام الشافعي.

وكاستنباط بعض المتكلمين أن الله خالق لأفعال العباد من قوله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن

يشاء الله ﴿ مع قوله تعالى : ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ فإذا ثبت أنه يخلق ما يشاء، وأن مشيئة العبد لا تحصل إلا إذا شاء الله أنتج أنه تعالى خالق لمشيئة العبد.

٦- رفع التناقض وإزالة الاختلاف:

وذلك كقوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ مع قوله تعالى ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾.

جمع بينهما بعض العلماء، فحمل الأول على التوحيد بدليل قوله تعالى بعدها: ﴿ولا تقوتن إلا وأنتم مسلمون﴾، وحمل الثانية على الأعمال.

ومثله قوله تعالى: ﴿وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة﴾ مع قوله تعالى ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر﴾.

قيل: إن آية الأعراف تجري على الظاهر من أن الوعد كان ثلاثين ثم أتم بالعشر، فاستقرت الأربعون، ثم أخبر في آية البقرة بما استقر.

وقد سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، فأخبر أنه لا يقسم، ثم أقسم في قوله تعالى ﴿وهذا البلد الأمين﴾ فقال له: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال، وبين ظهرائي قوم، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا، وعليه مطعنا، فلو كان هذا عنده تناقضا لتعلقوا به، وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت، فلم ينكروا منه ما أنكرت، ثم قال له: إن العرب قد تدخل (لا) في أثناء الكلام وتلغى معناها، وأنشد عليه أبياتا.

٧- علم المبهمات:

ومن تفسير القرآن بالقرآن علم المبهمات، هكذا أطلق عليه علماء التفسير، والمراد به أن يهيم في موضع استغناء ببيانه في موضع آخر في سياق الآية، ويمثلون له بقوله تعالى: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» فقد بين يوم الدين بقوله في موضع آخر في سياق الآية: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

وكقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فقد بينه بقوله: ﴿أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾.

٨- تفسير الألفاظ الغريبة:

وهو ضرب من تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيرها بالسياق القرآني نفسه، ويمثلون له بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ هَلُوعًا﴾ وقد فسر السياق القرآني نفسه هذا الهلوع بقوله بعد ذلك: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.

٩- تفسير المراد بنص صريح يبين خفاءه:

لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ اضطرب الصحابة، لأنهم اعتقدوا أنهم سيحاسبون على كل شيء حتى خواطر أنفسهم وحركات قلوبهم. فقالوا يا رسول الله: نزلت علينا هذه الآية ولا نطبقها. فقال لهم النبي ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير. فأخذوا يتضرعون بهذه الدعوات حتى أنزل الله بيانها في نص صريح وهو قوله: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى آخر السورة، وبعد نزولها علموا أنهم لا يحاسبون على خطرات النفس، وهواجس القلب.

ولما توفي عبدالله بن أبي، كبير المنافقين، كفه النبي عليه الصلاة والسلام في ثوبه، وأراد أن يستغفر له، ويصلي عليه، فقال عمر رضى الله عنه: أتصلى عليه وقد نهاك ربك؟ فقال ﷺ: إنما خيرتني ربي فقال: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة...». وسأزيد على السبعين وصلى عليه بناء على هذا الفهم الإنساني، ولكن القرآن وضع النقاط على الحروف ليزيل خفاء المعنى، ويمنع اللبس، حيث قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.

١٠- الإجمال والتفصيل:

هناك آيات قرآنية وردت مجملة موجزة، وأخرى موضحة مفصلة في موضوع واحد،

ونحن إزاء هذه الآيات يجب ألا نقف عند المجمال وحده من غير نظر إلى الآيات التى
فسرته وفصلته، ولو فعلنا ذلك لوقعنا فى الخطأ لأننا أخذنا الحقيقة مغلفة ولاندرى ما
بداخلها.

ويمثلون لهذا النوع من التفسير بقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ ولكن
ما الذى يتلى علينا، ويحرم علينا أكله؟ لم تبينه هذه الآية، ولكنها أجملت ما يتلى فى هذا
الموقف، وتعود الآيات بعد ذلك لتوضح هذا الذى يتلى فيقول تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ
وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ﴾ إلى آخر الآية.

وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فسرتها آية ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

وبعد، فإن المنهج السليم لتفسير القرآن الكريم يجب أن يتناول أولاً وقبل كل شيء هذه
الآيات المتعددة التى يفسر بعضها بعضاً، ولا يستطيع المفسر المنصف أن يبنى حكماً، أو يقرر
رأياً أو يكشف معنى إلا بعد استيعابه الكامل لهذا اللون من التفسير، ألا وهو تفسير القرآن
بالقرآن.
